العدد (1758) السنة السابعة - الأربعاء (31) آذار 2010 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

الآراء الـواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

على ضوء مقالة سهيل سامي نادر بصدد نتائج الشيوعيين الانتخابية

مـن أجـل مراجعـة نقديـة شاملـة للفكـرة والتطبيـق والوسائـل

تصلح الورقة التي نشرها سهيل سامي نادر في (المدى) يوم الإثنين الماضي، محوراً لنقاش أساس، حول (المسألة كلها) كما عنون سعدي يوسف إحدى قصائده.
أكثر من سبب يجعلني أقترح هذه الورقة للنقاش، منها أنها تأتي من مثقف عراقي مستقل يرى إلى المشهد السياسي من مسافة ضرورية لمثقف، أي مثقف، كيما يصبح الإدراك النقدي للحقيقة مسوّغاً مقبولاً، أي أن الشهادة، هنا، ليست بمجروحة.
دأبت قيادة الحزب الشيوعي، دائماً، على التشكيك بمنتقدي سياستها، وبالتالي سياسة الشيوعيين الذين يفترض بهم الالتزام بها وتطبيقها أو الترويج لها على أن اعتراضاتهم تأتي تالية و (داخل التنظيم) حسب ما تجود به اللحظة الديمقراطية (على مركزيتها) لطرح أفكار الرفاق ومناقشتها.

عواد ناصر

نـادر ليس وحـده الحـزين، على إخفاقات الشيـوعيين المجلجلة في الانتخابات العامة الأخيرة، بل جمهرة من الشيوعيين والديمقراطيين واليساريين، بل شيحة من اللبراليين حتى، وقد لا يحزن بعض من هؤلاء وأولئك، على مآل الفكرة النبيلة المتجسدة في حزب، بل على التراجع المشين للمجتمع السياسي العراقي الذي دفع آخرين، حتى من كانوا غير متعاطفين مع الحزب الشيوعي إلى انتخابهم، ليس حباً فيهم بل كرهاً بمعاويات استحوذوا على الأخضر واليابس، ليس بسبب غدر التاريخ بل لأن التاريخ، نفسه، لا يقدم صفحاته للخجولين والمترددين والتلاميذ الذين لا يراجعون دروسهم إلا ليلة الامتحان.
ومن الأسباب الأخرى التي تقترح ورقة نادر ميداناً للنقاش فكرته، المتبوعة باقتراح: "أن الماضي الشيوعي ظل مرجعا، وكلما زادت الاخفاقات في الحاضر ارتكن الى تاريخ الحزب مجددا بوصفه تاريخا حيا ، هنا والآن، والى الرمزية الشيوعية المدوخة بوصفها ربة الحكمة والاخلاق، ولهذا السبب لم يستطع هذا الحزب ان يكون نواة للقاء اليسار العراقي او للديمقراطيين التقدميين. من لا يتغير لا يستطيع ان يقود اي تغيير. ومن لا يعرف ان الشيوعية غادرت الميدان الفعلي سيجتر تاريخا غادره التاريخ. أما آن الأوان ان تنضاف ديناميكية الشيوعيين العراقيين الى حزب ديمقراطي اشتراكي جديد؟ إنه اقتراح".
وهي فكرة (واقـتراح) سبق أن همست بما يشبهها بإذن الاستاذ حميد مجيد موسى، أثناء زيارتي للعراق في سبتمبر (أيلول) ٢٠٠٣ وكان ذلك في مقر الحزب (ساحة الأندلس) حيث كنت مدعواً، ضمن آخرين، إلى جلسة عامة، مفتوحة، ومختصرها هو أن الشيوعيين يتقوون ببيئة ديمقراطية منفتحة على الآخرين، مما يسهل عليهم استقطاب طاقات كبيرة من غير الحزبيين التقليديين، وعليه، بعد زوال الأسباب الموجبة للعمل السري (وإن ما زال ضرورياً في مناحيه التنظيمية، طبعاً) صار متاحاً للحزب الشيوعي العمل النوع، المركز مع الاحتراس الضروري من القوى المسلحة المنفلتة في الشارع العراقي (ذاك الوقت) وكانت غايتي الأبعد من تقوية حزب الشيوعيين هي صناعة بيئة سياسية ديمقراطية تتيح لكل الوطنيين، على اختلافهم، أن يعملوا بصيغة ما (يمكن وضعها لاحقاً) كي تكون هذه البيئة عامل توازن مع بيئات عراقية أخرى كرس نظام الحزب الواحد، المعروف بعنفه واستبداديته، نصفها وأكمل الطائفيون والفاسدون وطلاب الكراسي نصفها الآخر.
كاد النقاش مع عدد من الأصدقاء الشيوعيين، في لندن، أن يكشف عن أنياب بلشفية مهدمة، عندما طرحت فكرة، ولتكن قاسية على من لم يعتد الفكرة المخالفة، مفادها أن الشيوعيين السوفييت ناضلوا نضالاً مريراً لبناء دولة استبدادية، شديدة التمركز، ينخرها الفساد الداخلي، ليحولها إلى دولة هشة أسقطتها، ضمن نشاط سياسي وإعلامي واسع، خلال الحرب الباردة، شركة ساندويتشات اسمها "ماكدونالد" وبعض شركات كمالية أخرى عاش المواطن السوفيتي معظم حياته يحلم بالتلذذ بها، على تفاهتها.. لأطرح سؤالي الجاد، خلال ذلك النقاش: هل ذهبت دماء آلاف الشيوعيين واليساريين والديمقراطيين العراقيين، منذ تأسيس الحزب الشيوعي العراقي، حتى اليوم، من أجل بناء دولة عراقية على غرار دول المعسكر الاشتراكي وعلى رأسه الاتحاد السوفييتي الشقيق؟
أعترف بأن أصل الفكرة، هذه، تعود إلى نعوم شومسكي، الفيلسوف اليساري، الممنوع من النشر والتداول في كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي السابق!
إن ذاك المعسكر على سخائه المشهود في مجانية التعليم والضمان الصحي وتوفير كم لا بأس به من أساسيات الحياة اليومية، ودعمه غير المحدود (إلا للشيوعيين العراقيين بسبب العلاقة المصلحية مع نظام البعث منذ بداية سبعينات القرن الماضي) غير أنه سخاء إدارة السجن على المساجين مع الأسف.
هذه نقطة أراها جوهرية لم أعثر عليها في الورقة الملتاعة التي نشرها العزيز سهيل، وهي في نقطة في صلب الآيديولوجيا الشيوعية العراقية التي لم تتحرر من خوفها عند النظر إلى تجربة (الأخ الأكبر).. نقطة تؤخذ على تلك الآيدلوجيا على كل ما تنطوي عليه من بعض الجوانب النبيلة وجملة (الأخلاقيات) التي توقف عندها الكاتب كثيراً باعتبارها (لا تطعم خبزاً في عراق الجياع والشبعانين معاً).
المعروف أن الثوار، عبر التاريخ، خاضوا معاركهم الحاسمة وغير الحاسمة بأدواتهم وأدوات خصومهم، جنباً إلى جنب، بغض النظر عن الظفر والهزيمة، إلا الشيوعيين العراقيين الذين كانوا، وما زالوا، يواجهون الأسلحة الحديثة، على أكثر من صعيد، بالمنجنيق.
إن بطولات الشيوعيين العراقيين التي جعلتهم في مصاف الأبطال، بل المجانين أحياناً، هي لحوم أجسادهم المذابة بالأسيد والملسوعة بسياط الجلادين، منذ تأسيس حزبهم، وهذا وحده لا يكفي، ففي السياسة، خصوصاً ما بعد الحرب الباردة، تغيرت مفاهيم ومناهج كبرى وأساليب عمل حتى في الولايات المتحدة نفسها، زعيمة الإمبريالية العالمية، والقطب الوحيد الذي يقود الكون، اليوم، بينما لم يجد المتابع تغييراً حقيقياً في سياسة الحزب الشيوعي العراقي، ولا في طبيعة فكره السياسي، أو برنامجه، إلا ما يتعلق، بهذا القدر أو ذاك، بمفاهيم حقوق الإنسان والتداول السلمي للسلطة وتحقيق الديمقراطية للعراق.. ولكن كيف ولماذا؟
إن منظمة صغيرة من منظمات المجتمع المدني يمكن لها أن تطالب بأكثر من هذا، من حيث هو كليشة قديمة، لكنها، في العراق، جديدة، بحكم ويلات القمع والعنف التي عاناها العراقيون الأمر الذي جعلهم (يعجبون) بمثل هذه المفاهيم الغريبة على دولة العرفاء الكيمياويين والمجتمع المحروم حتى من جهاز فاكس.

معطيات انتخابية

يمكن أن نلحظ جملة متغيرات أساسية في المشهد الانتخابي العراقي الأخير، تشكل بمجملها ملامح انقلاب ديموقراطي بنفسجي اللون بعثي الهوى علماني الحلم.
المتغير الأول: إنها أول انتخابات ديموقراطية تجري في بلد عربي (من حيث القومية الرئيسة كي لا يزعل الكرد) يشكك بها أصحاب الشأن من كتل وأحزاب وشخصيات، بما فيها الحكومة وأحزابها المتنفذة، بينما تشهد لها الأمم المتحدة ممثلة أد ميلكرت بالنزاهة والشفافية، واعتبرتها نقلة نوعية في التجربة الديموقراطية العراقية. إذ تنظر الأمم المتحدة، عبر ممثليها المعنيين، أسوة بالدوائر الغربية، حكومات ومنظمات رسمية وغير رسمية، إلى انتخابات البلدان العربية على أنها ألعاب سياسية يؤديها الحاكم العربي لذر الرماد في العيون محتفظاً بكرسيه المقدس، بينما تدافع السلطة العربية التقليدية عن (انتخاباتها) ها بعنف فضائحي مضحك.
المتغير الثاني: هو ظهور نبرة أقل تشنجاً في اللغة السياسية العراقية التي أعقبت الانتخابات، فقد شاهد الناس على التلفاز، مثلاً، ممثلي إئتلاف دولة القانون والكتلة العراقية وكتل أخرى خاسرة، يتبادلون وجهات النظر ويهنئون أحدهم الآخر، بروح رياضية، بمن فيهم خاسر.. هذا ما شاهدناه على الشاشات لا خلفها!
المتغيّر الثالث: إن الناخب العراقي وقد ضاق ذرعاً بفشل تشكيل حكومة المحاصصة السابق، وما جره على الناس والعباد من ويلات طالت صعد الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية للناس، وعجز التشكيل السياسي عن أداء خدماتي ملموس يمس جوهر الحاجات اليومية للعراقيين، استدار ١٨٠ درجة لينتخب كتلة علمانية بغض النظر عن ثقته فيها، فهي لم تجرب ميدانياً حتى الآن، أسوة بكتلة إئتلاف دولة القانون، مثلاً، رغم الهوى البعثي المكفول طائفياً هو الآخر لدى مكوناتها الرئيسة.. على أن المالكي لا يتحمل وحده مسؤولية ضعف الأداء الذي رافق حكومته المنتهية، فهو ضحية المحاصصة التي شلت صلاحيات حكومته طيلة دورتها السابقة.
المتغير الرابع: لعبت القائمة المفتوحة دوراً مركزياً في إتاحة الفرصة للناخب العراقي لكي ينتخب أسماء واضحة لا قوائم صماء، وبذا فقد أسقط هذا الناخب رؤوساً كبيرة، يابسة، فرضها نظام المحاصصة غصباً على أنوف العراقيين التواقين لساحر أو شيطان أو بربري (مفرد برابرة كما قال شاعر اليونان الكبير كوستنتين كافافي على أنهم يشكلون حلاً من الحلول).
المتغير الخامس: غياب مريع لليسار العراقي (جسمه الأساس الحزب الشيوعي ومتفرعاته) الذي شكل، مع الراديكالي الشيعي (حزب الدعوة) ثنائياً مزعجاً للحكومات العراقية المتعاقبة منذ أربعينات وخمسينات القرن الماضي، وهو أمر يتعلق بمتغيرات، تاريخية ونفسية، أخرى لا مجال للتفصيل بها الآن، رغم أن الشيوعيين العراقيين تميزوا بنظافة اليد قياساً بكتل وأحزاب أخرى.
المتغير السادس: هو اللامتغير، وهو ليس أقل أهمية مما سبق، ويتلخص بأن الكتل الكبيرة: إئتلاف دولة القانون والعراقية والكرد والائتلاف الوطني، هي نفسها التشكيلات الكبيرة التي وسمت الحياة السياسية بعد سقوط النظام السابق، وهي نفسها اللاعب الأساس الذي طبع المجتمع السياسي الجديد بطابعه، رغم تقدم قائمة على أخرى وتراجع قائمة لحساب قائمة، فالبيئة السياسية، من حيث الجوهر لم تتغير، وإن تغيرت عددياً، والسؤال الذي يراود العراقيين، اليوم، يتوجه إلى إياد علاوي ونشاطه المرتقب فيما إذا كان بمقدور علاوي أن يصلح ما أفسده الآخرون؟
إنها متغيرات الخيار الصعب الذي واجهه الناخب العراقي الذي خُيّرَ بين أن يأخذ الأرنب أم الأرنب حيث لا غزال ثمة!
صحيح مرحلة الأوراق المخلوطة.. لكن هل ثمة ورقة شيوعية؟
كانت قائمة (اتحاد الشعب) الأقرب إلى قلبي قبيل الانتخابات لكنها لم تقترب من عقلي، يا صديقي سهيل، للسبب نفسه المتعلق بتوقعاتي، وهي توقعاتك نفسها، ليس على ضوء أداء هذه القائمة المخيب للآمال، بل بسبب مجمل المسيرة الفكرية والثقافية والسياسية للشيوعيين قدر ما يتعلق الأمر بأساليب إدارتهم للصراع من موقع الضعف، دائماً وأبداً.
عدا الأسباب التي يحب الشيوعيين وصفها بـ (الموضوعية) من حيث غربة الفكرة في مجتمع عربي إسلامي محافظ ينبذ كل فكرة تهدد مقدساته، إضافة إلى رحيل الشقيق السوفييتي الداعم (بحدود معروفة) للشيوعيين، وتفكك الفكرة بعد (الدولة والثورة) وبعد أن اتجهت كل الخطى (إلى الوراء) فثمة أسباب ذاتية بنيوية وراء المآل الحزين لأحفاد فهد أبرزها البقاء على العيش في مجد غابر، هو أيضاً بحاجة إلى مماحكة نقدية على الأقل.
لماذا الخوف؟ هل هناك أخطر مما بلغه السيل؟
أخيراً، حتى الله، سيرةً كبرى ومطلقة، كان يستأنف خطابه بخطاب آخر يحمله إلى الناس نبيّ أو رسول جديد، من أجل تغيير العالم، في عصور مختلفة، إلا الشيوعيين العراقيين الذين يريدون تغيير العالم بأنبياء وخطابات لجميع العصور.

اللحظة العراقية المفارقة.. عنف الصورة.. عنف الفكرة

علي حسن الفواز

العالم يتعولم من رأسه الى أخمص قدميه! هذا ليس توصيفا للبداهات، بقدر ما أصبح حقيقة عميقة الأثر في وجودنا، وفاعلة التأثير على اغلب صناعاتنا المجاورة في الاجتماع والثقافة والسياسة والأزياء وغيرها! وتحت يافطة هذا التعولم الإجباري والضروري أحياناً يمارس العقل الثقافي لعبته في المفارقة والاختلاف، فهو اذ يتمنع تحت ضغط اللاوعي العالق بالشخصية النكوصية، يتسلل من زاوية اخرى للتماهي والتلذذ بكل ما تنتجه المؤسسة المتعولمة من صور ومشاهد واشباعات حسية وفكرية وايروتيكية وغيرها.

واحسب ان العقل الثقافي بات عقلا صوريا، أي يؤسس اشتغاله في الإنتاج الدلالي والاشاري على معادل الصورة، بكل ما تعنيه هذه الصورة من إزاحات قابلة للتفاعل والتغاير وإعادة التشكيل المضلل للفكرة والسلوك والمنظور، وبهذا تكون الإعلاميات(الهشة) هي الأكثر عرضة لخطر التهديد والتعرية، لأنها تعيش لعبة التضخم الإيهامي(تضخم الرموز الاجتماعية والدينية، الرؤساء، أصحاب الفتاوى) وتعيش ازدواجية اللغة والصورة، وازدواجية الثبات والمحو، مثلما تعيش أيضاً الأزمات الضاغطة للثقافات اليقينية الخالصة القرابة خاصة في التحريم والتكفير. لذا تبدو لعبة المواجهة من الخطورة بمكان ما يشبه مواجهة أعداء من كوكب آخر، يقف إزاءهم بين مزدوجي المواجهة او الهروب، ولا اعتقد ان مفهوم الهروب هو الأصلح في لعبة التعولم الإجباري، إذ سأقترح مفهوم الحوار، وتبادل المنافع الثقافية بما فيها المنافع الصورية..
من هنا ندرك ان صناعة الصورة في عقلنا الثقافي والإعلامي بشكل أدق تتبدى عبر مجموعة من العوامل التي ينبغي إدراكها والتعاطي مع إشكالاتها، باعتبارها أصبحت مصادر مهمة في تشكيل اطر العلاقات بين الثقافات والأمم، وفي إعادة تصميم المصالح الدولية(العلنية والسرية) خاصة مع قوى غامضة مازالت تنظر إلى الصورة بفقه التحريم، خاصة الصورة منتجة البهجة، وبنوع من التلذذ المريب للصورة المنتجة للتكفير ومنها صور(ذبح الخصوم) او التهديد بالعنف الفكري والفقهي وتحت يافطات الثقافة اليقينية التي تقرأ باجتزاء..

• سلطة الصورة/سلطة الأثر

لا احد ينكر سلطة الصورة في صناعتنا الثقافية الاعلامية والادبية، لأنها تتحول إلى اثر، والى مقدس أحياناً، ولا أحد يتجاوز أيضاً نسقها التوصيلي الذي بات يختصر الكثير من السرود الطويلة..لكن هذه الصورة تبقى حيادية كما تقول الأدبيات الإعلامية خارج آليات استخدامها وتوظيفها في سياق يجعلها جزءا من لعبة تتجاوز الرسالة الاعلامية والادبية باتجاه سياق اخر ينتمي الى (العاب)قهرية وغوايات سياسية وايديولوجية تدخل ضمن حسابات هذه الأجندة او تلك.
في اعلامنا العراقي المرئي اخذت هذه الصورة تمارس سلطة نسقها بنوع من استدعاء الرعب البصري ليكون نوعا من الاستعراض الغريب والساذج أحياناً للعنف والقوة، فهي صورة تعمد للتوصيل المباشر ولصنع رسالة او رأي عام او خاص إلى جمهور مستهدف عبر تسطيح الرسالة او التهديد من خلالها، وربما التحريض على استعادة زمن نفسي معين!! لكن ان تكون هذه الصناعة منتقاة بدقة وبحرفنة ليست مهنية خاصة في بعض تلك الوسائل الإعلامية الفضائية التي تضخ علينا آلاف الصور الثابتة والمتحركة يوميا، والتي تبدو مصممة طبعا لغايات معينة و محملة بشفرات أخرى، فان هذا الأمر يحتاج بالضرورة الى عمليات فحص معمقة والى قراءة أكثر عمقا، ليس بفرض الرقابة او اعادة انتاجها، بقدر ما هو العمل على ضرورة التعاطي مع قيم مهنية يمكن ان تحدد المسؤوليات والحقوق، وان لا تكون جزءا من لعبة الدروب السرية او المؤامرات الصغيرة.
في العديد من القنوات العراقية خاصة قنوات المهجر! نجد هذه الظاهرة شاخصة للعيان، والتي تمشي جريا على بعض ما تتداوله قنوات أخرى لها أجندات معينة، والتي لا همّ لها سوى اثارة وتهييج رأي معين ينشغل بالنعرات والصراعات والإصرار على التعاطي مع فكرة الصورة الجاهزة، تلك الفكرة التي تقول ان العراق يعيش عدما سياسيا، وانه يعيش قرونه الوسطى، وان الحرب مازالت قائمة في كل شارع عراقي.
صناعة هذه الصورة هي صناعة وعي مرعب، ووعي مرعوب بالمقابل، لكنها بالمقابل صناعة طرد منهجي، وتعويض سايكوباثي لقوى معينة تجد ان الصورة هي الصناعة المثالية التي تهدد الوعي الهش، الوعي المسكون بالتوصيف اللغوي، ومن طرف اخر هناك قوة كونية متعولمة هي المسؤولة أساساً عن صناعة فضاء الصورة، او هي الموشور الذي تنعكس من خلاله الصورة يمارس في الآن نفسه دور صنع الممرات السرية لتسرّب الصورة القهرية، التي تصنع وعي الخوف والرعب والإحساس بالعدم.
الهؤلاء والهؤلاء يتفقون على صناعة رسالة اعلامية غير اخلاقية وغير مهنية، جل ما تبغيه هو الاصرار على تشويه حالة بعينها، مثلما نشاهد صورا كثيرة تنقل عن أحداث معينة في دول عديدة، وليس بعيدة عن الحالة العراقية وتحولاتها وحتى تداعياتها، اذ تبدو صناعة الصورة وكأنها جزء من صناعة الموقف المضاد، الإكراهي، ناهيك عن التعتيم على الكثير من الحقائق، او القصدية في نقل صور معينة، خاصة تلك التي تعكس مشكلات قد تكون موجودة وفيها الكثير من الواقعية، لكنها مضخمة بشكل غرائبي، فضلا عن كونها ليست وليدة اليوم، وهي جزء من هموم وتداعيات قديمة متراكمة بسبب الحروب العبثية والحصارات القاسية، وسوء ادارة الشأن العام. وطبعا يكون الاكتفاء والحرص على نقل هذه الصورة وتكرارها الى مستهدفين معينين وبشكل سيء مثالا على طبيعة الخطورة التي ترتبط بصناعة الصورة، مثلما ان هناك أجندات سياسية تضع هذه الصورة بمثابة الموقف الذي يرسل الآخرين في العالم عن العراق، دونما اشارة الى من هو المسؤول عن استمرار انتاج هذه الصورة، ولا عن الاسباب التي مازال الارهاب الاعمى والحسابات الضيقة لبعض السياسيين وظواهر الفساد الاداري والمالي تسهم في تكريسها في واقعنا..

• مثالية الصورة

صحيح أن الحالة العراقية ليست مثالية، وان ما جرى في العراق حدث تحت احتلال أجنبي، لكن هذا لا يعني أن البحث عن الصورة المثالية يتطلب تضليل الآخرين عبر الإيهام بصورة متخيلة لا وجود لها سوى في أجندة صانعيها، او أصحاب شفراتها.
ان الصراع مابين الصورة المثالية والصورة الواقعية هو الصراع بين القوى القديمة والقوى الجديدة، وان الدفاع عن القديم يتبدى عبر تشويه الجديد بمعناه الحاضر! مقابل تقديم الماضي على انه الحافظ للصورة العائلية البهيجة، لكنها بالمقابل تبقى الصورة الجامدة، صورة الموتى، صورة العالقين بفكرة المتحف. وان محاولة إعادة إنتاج الجديد يعني إعادة إنتاج الصورة التي تتسع للعائلة التي يمكن ان ينسل منها الأولاد الى الشارع العمومي، اذ هي صورة مفتوحة، لا آباء مقدسون فيها، او آباء غليظوا الشوارب على الطريقة العثمانية.
ان حقائق التحول الاجتماعي والسياسي والاقتصادي الذي يحدث في العراق هو جزء من لعبة التعولم الإجباري، حتى الديمقراطية والانتخابات والتعددية هي جزء من هذا الدرس الإجباري الذي لم يعتده صناع صورة العائلة القديمة، لذ بات الانخراط في هذا الدرس والتواصل في فك شفراته أمر ضاغط، وان مواجهة أصحاب الدرس القديم تحتاج أيضاً وعيا بصناعة الصورة، لأنها لعبة أماكن مثلما هي لعبة في إنتاج السلطة والصورة.
المشتغلون في صناعة الصورة الجديدة ليسوا أيضاً عند شروع واحد، وعلى قلب واحد كما تقول ادبياتنا الشعبية،اذ ان هناك من القوى والاجندات مازالت تضع العراقيل امام صناعة صورة بهيجة للعملية السياسية وعملية بناء الاقتصاد العراقي وترميم الخرابات التي حدثت بفعل الاحتلال والارهاب وسوء الادارة، والتي تسعى الى تقديم الصورة التي تعزز هذا الموقف او غيره..
مقابل كل هذا نجد انفسنا امام حقائق ومعطيات ينبغي للجميع من صناعة الصورة الجديدة أن يتكاشفوا بمسؤولية وامانة، خاصة في إعادة إنتاج الصورة(الوطنية) في مواجهة غابة من الصور القديمة التي مازالت تحن الى مملكة فرانكو، فإلى أين يذهب الهؤلاء؟ وهل ان الاجندات المالية والمخابراتية والسياسية التي تدعمهم ستظل على ايقاع واحد، وانها ستظل تفتح كنوزها لهذا(الفضائي)او غيره دون حساب؟ وهل سيكون استشراء الخراب وبقاء الهموم والاحزان مريحا لضمائرهم وهم يتفرجون على احزان ابناء جلدتهم؟
اظن ان التعاطي مع التعولم الإجباري يكمن في كونه ذا مرجعية أخلاقية قبل ان كونه خاضعا الى مرجعيات ترتبط مباشرة بحسابات وسياسات، لان صاحب الخطيئة الذي يعيش فوبيا الأب الإكراهي(غليظ الشوارب والغاطس في الصورة العائلية) لا يتورع من ارتكاب اية معصية او جريمة تعزز احساسه بلذة البقاء في الصورة، حتى وان كان سلوكه في منتهى العدوانية، فضلا عن ان بعض الهؤلاء يتحدثون كثيرا بنوع من النفاق الغريب، وهو خطاب أخلاقي! عن صورة ينبغي استعادتها، فهم متطرفون مع التطرف، وليبراليون مع الليبرالية وسلفيون مع اصحاب الخطاب السلفي، وقوميون مع اصحاب الفقه القومي.
ان صناعة صورة الواقع الجديد، وان كانت جزءا من صناعة التعولم الإجباري، تتمثل بالضرورة الى قواعد صناعات أضحت شاملة وذات موجهات من الصعب الفرار منها، تبدأ من صناعة الدولة باعتبارها البنية الحاضنة، والقوة الحامية للجماعات، مرورا بصناعة الأفكار والمواقف التي ينبغي ان يتداولها الجميع ضمن نسق شرعية الدولة وشرعية المجتمع وانتهاء بصناعة الصورة التي باتت هي اطر الصناعات، لأنها الإطار الاشاري الذي يدفع باتجاه التأويل الذي تكرهه مدارس فقه الصورة القديمة، واعتقد ان الذين يمارسون لعبة الخروج عن هذه المعطيات هم واهمون! لان النتائج التي باتت تكرسها الوقائع باتت طاردة بقوة، بدءا من الرمزية العسكرية والإيديولوجية وانتهاء بالرمزية الطائفية التي أنهت تماما صورة الفقيه القديم القاسي في وصاياه، والذي ظلت صورته الواحدة هي المهيمنة والمعلقة على حائط البيوت.